


# سنن القيادة الإلهيّة في التاريخ

محسن الأراكي




مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



# سنن القيادة الإلهيّة في التاريخ

اسم الكتاب: سنن القيادة الإلهيّة في التاريخ

المؤلّف: محسن الأراكي

الناشر: دار المعارف الحكميّة

إخراج الكتاب: Idea Creation

عدد الصفحات: ٥٦

القياس: ٢١,٥×١٤,٥

تاريخ الطبع: ٢٠١٤

**الطبعة الأولى**

ISBN 978-614-440-021-0

**[١٤٣٥ هـ. - ٢٠١٤ م.]**



**دار المعـارف الحكميـة**

**Dar Al maaref Alhikmiah**

العنوان: لبنان - بيروت - سان تريز - سنتر يحفوفي - بلوك C - ط٣

تلفاكس: ٠٠٩٦١١٥٤٦٢١٩١ - Email: almaaref@shurouk.org

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

# الفهــرس

## كلمة المعهد

يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

لقد أوكل الله الإنسان أمانة الكون بأسره، وفوّضه حيّز القيادة، واستحقّ السجود من طرف الملائكة، كما ترتّب له من جرّاء ذلك حقوق وواجبات.

والمستخلَف على الأرض ليس شخص آدم بل الخلافة للنوع الإنسانيّ ككلّ بغية إنشاء مجتمع أو أمّة عابدة لله موحّدة له تعالى.

وهذه الأمانة التي كُلّف بها الإنسان - اختيارًا وتكريمًا من الله تعالى - تسير وفق مسارات محدّدة المعالم وشروط خاصّة باعتبار المستخلِف؛ فإن اختار المستخلَف طريق الخير ترتّب على ذلك آثار، وإن سلك طريقًا غيره ترتّب على ذلك آثار أيضًا وفقًا لسنن تاريخيّة تحكم حركة التاريخ في خطواتها العامّة وهي ذات طابع علميّ يتميّز بالإطراد كما يعبّر الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر في كتابه **السنن التاريخيّة في القرآن الكريم**.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا **سنن القيادة الإلهيّة في التاريخ** للشيخ محسن الآراكي يجيب عن بعض التساؤلات التي يطرحها ويفترضها الذهن من بعض المواقف التي حصلت في تاريخ البشريّة من آدم إلى نوح فإبراهيم وعيسى، عليهم السلام، والرسول محمّد، صلّى الله عليه وآله، وما حدث في عهود متتالية مع أئمّة أهل البيت عليهم السلام لا سيّما سكوت الإمام عليّ عليه السلام عن تولّيه الخلافة، صلح الإمام الحسن وثورة الإمام الحسين، عليهم السلام، وغياب القائم المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

كما ويبيّن أنّ التاريخ الإنسانيّ واحد يتكرّر بأحداثه وشخصيّاته بلبوسات مختلفة إلّا أنّه لا مبدّل لكلمات الله ولن تجد لسنّة الله تبديلًا.

وكيف أنّ على هذه الأمّة - أمّتنا - مسؤوليّة جمّة وعبئًا ثقيلًا بغية

---

(١) سورة **البقرة**، الآية ٣٠.



استعادة وسام عودة القائد الإلهيّ إلى المعترك السياسيّ حاضرًا غير غائب، حاكمًا ربّانيًّا يجسّد بشخصه الخليفة الإلهيّ وتكون أمّته الأمّة المستخلَفة كما أرادها الله، ويكون المهديّ وارثًا لآدم ونوح وإبراهيم وعيسى ومحمّد وعليّ والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ولد الحسين عليهم صلوات الله جميعًا. ونكون نحن الوارثين للأرض والأمّة الخليفة وخير أمّة أُخرجت للناس.

سكينة بو حمدان

# تمهيد

يمكن القول إنّ أهمّ المصادر التي ينبغي مراجعتها لفهم سيرة المعصومين عليهم السلام هو **القرآن الكريم**؛ لأنّ الصلة بين **القرآن الكريم** وسيرة المعصومين هي صلة النظريّة والتطبيق، وكما يمكن التعرّف على تفاصيل النظريّة من خلال التطبيق، وكذلك العكس؛ فإنّ تفسير التطبيق تفسيرًا واقعيًّا شاملًا، لا يمكن إلّا من خلال النظريّة، وعلى ضوئها.

وانطلاقًا من هذا المبدأ، سوف نقوم بدراسة موجزة لمقطع تاريخيّ مهمّ من سيرة المعصومين عليهم السلام، وهي صلح الإمام الحسن صلوات الله عليه والذي يُعدُّ بحقّ من أهمّ المقاطع التاريخيّة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وسوف نحاول إلقاء الضوء على هذا الحدث التاريخيّ المهمّ من منظور سنن التأريخ في **القرآن الكريم**، ومفاهيمه التي فسّر بها الكون، والمجتمع، والتاريخ.

الشيخ محسن الآراكي

## ١. سنن القيادة الإلهيّة في التاريخ

من السنن التاريخيّة التي تحكم المجتمع الإنسانيّ – حسب الرؤية القرآنيّة – هي السنن التي تحكم العلاقة بين القيادة الإلهيّة والمجتمع الإنسانيّ على مرّ التاريخ. وهي سنن متعدّدة، سوف نتعرّض لأربع منها باختصار، ثمّ نلقي الضوء من خلالها على صلح الإمام الحسن عليه السلام، لنفهم هذا الحدث التاريخيّ العظيم على ضوئها.

### ١.١ سنّة الإمامة المستمرّة

من السنن الإلهيّة في المجتمع الإنسانيّ، رعاية الله المستمرّة من خلال القيادة العادلة التي تمثّل خلافة الله في الأرض. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١].

ومن الواضح عموم هذا الجعل لكلّ زمن؛ فإنّ الآية تحكي قرارًا إلهيًّا عامًّا بأن يكون له خليفة في الأرض، ولم يكن آدم عليه السلام إلّا النموذج الأوّل لهذه الخلافة الإلهيّة، وتعدّدت بعده الخلافة متتالية في كلّ عصر، وهذا ما أكّدته الآيات الكريمة الأخرى، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢]، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[٣].

كذلك الآيات ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٥]، ﴿لَقَدْ

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٢٤.
(٣) سورة ص، الآية ٢٦.
(٤) سورة النحل، الآية ٣٦.
(٥) سورة النساء، الآية ٦٤.



أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[٦]، و﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[٧].

وخلافة الله تعني أن يقوم الخليفة بمهمّة إدارة الأرض، وإعمارها، وفقًا لشريعة الله ونهجه، فإنّ خلافة كلّ صاحب أمر، إنّما تعني أن يقوم الخليفة بتنفيذ أمره، والقيام مقامه في تحقيق أغراضه، وتنفيذ مقاصده، وهذه هي المسؤوليّة التي اضطلع بها الأنبياء على مرّ الزمن، باعتبارهم خلفاء الله في أرضه. وعندما ختمت النبوّة بنبيّنا محمّد، استمرّت الخلافة الإلهيّة – حسب القرار الإلهيّ بجعل الخليفة في الأرض – في الأئمّة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام.

## ١. ٢ الخلافة الإلهيّة تبدأ فرديّة ثمّ تنتهي جماعيّة

إنّ الخلافة الإلهيّة تبدأ فرديّة، وتنتهي جماعيّة، فالغاية التي أرادها الله سبحانه وتعالى هي الاستخلاف الجماعيّ؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾[٨].

غير أنّ هذه الخلافة الجماعيّة إنّما تبدأ بخلافة القائد الإلهيّ المعصوم الذي يعيّنه الله سبحانه وتعالى إمامًا على النّاس، ومن خلال الجهد التربويّ والقياديّ الذي يقوم به الإمام تنشأ أُمّة بشريّة، تقيم العدل، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[٩].

وعبر هذه المسيرة التربويّة التكامليّة، تنبثق خلافة جماعيّة، تكون الأمّة فيها بقائدها ومقودها، برئيسها ومرؤوسها، بإمامها ومأمومها، شهداء على العدل والحقّ، وخلفاء لله على أرضه: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

(٦) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٧) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٨) سورة النور، الآية ٥٥.

(٩) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[١٠].

ثمّ إنّها لا تجد سبيلَها إلى الواقع إلّا من خلالَ الإرادة الجماعيّة للأمّة على النّصرة، والطاعة للقيادة الإلهيّة، وعندئذٍ تتحقّق الغاية الكبرى من خلافة الإنسان على الأرض، من عمارة الأرض، والرفاه العامّ، والسعادة القصوى. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[١١].

أمّا إذا أعرضت الأمّة عن القيادة الإلهيّة، وامتنعت عن طاعتها والخضوع لها، فهي التي تتحمّل مسؤوليّة النتائج المرّة التي سوف تجنيها من هذا الإهمال والإعراض.

وهذا ما جاء في ذيل الآيات آنفة الذكر: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾[١٢]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[١٣].

وفي هاتين الآيتين، نجد أنّ السنّة الإلهيّة ترعى المجتمع الإنسانيّ، وتهتمّ بتربيته، وإعداده لقبول مسؤوليّة الخلافة الإلهيّة، وإطاعة القائد الإلهيّ الخليفة، لإقرار العدل والتقوى على أرض الله، فتحكي لنا ما يبتلي به الله سبحانه وتعالى أمم الأنبياء، توعيةً لهم، وتذكيرًا، وتربيةً، وإعدادًا، عسى أن يتحمّلوا مسؤوليّاتهم الكبرى في طاعة الأنبياء، ونصرتهم، في سبيل إقامة المجتمع الإلهيّ العادل على وجه الأرض.

وقد اعتبر القرآن الكريم القيادة الإلهيّة التي يمنّ الله بها على المجتمع

(١٠) سورة **البقرة**، الآية ١٤٣.

(١١) سورة **الأعراف**، الآية ٩٦.

(١٢) سورة **النور**، الآية ٥٤.

(١٣) سورة **الأعراف**، الآيتان ٩٤ و ٩٥.



البشريّ "إتمامًا للنعمة الإلهيّة" على الإنسان، فجاء التأكيد على كونها هي "النعمة التامّة"، كما قال سبحانه وتعالى – تعبيرًا على لسان نبيّه يعقوب عليه السلام، وهو يخاطب ولده يوسف عليه السلام -: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾(١٤).

وقال سبحانه وتعالى بعد إعلان النبيّ، صلّى الله عليه وآله وسلّم، عن إمامة عليّ، عليه السلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(١٥). وأيضًا في الآية: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾(١٦).

و"تمام النعمة على القائد" هي الرعاية الإلهيّة، والتسديد الربّانيّ الذي يؤهّله للقيادة، ويبوّؤه منزلة الإمامة، و"تمام النعمة على المجتمع البشريّ" هو تأهيله للاضطلاع بمهمّة الخلافة الإلهيّة على وجه الأرض، وذلك بتعيين القائد الإلهيّ الذي يتولّى قيادته في هذا السبيل.

### ١. ٣ سنّة الحضور والتصدّي في القيادة الإلهيّة

"سنّة الحضور" في **القرآن الكريم** تعني تصدّي القيادة الإلهيّة لقيادة الأمّة، تصدّيًا فعليًّا مباشرًا، عندما تستجيب الأمّة لدعوة القائد الإلهيّ إيّاها إلى نصرة الحقّ وإقامة العدل على وجه الأرض، وتلبّي دعوته للحضور في ساحات الجهاد والنصرة، وتتفاعل معه بالطاعة لأمره، والانقياد إلى قيادته.

وسنّة الحضور هذه، مفردة من القانون الإلهيّ الذي عبّرت عنه الآية الشريفة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

(١٤) سورة **يوسف**، الآية ٦.

(١٥) سورة **المائدة**، الآية ٣.

(١٦) سورة **البقرة**، الآيتان ١٥٠ و ١٥١.

لَشَدِيدٌ ﴾[17].

جاءت هذه الآية بعد آيات تشير إلى سنّة حضور القيادة الإلهيّة في مصداقها المتمثّل في موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[18].

فسنّة الحضور القياديّ تبدأ انطلاقًا من سنّة الرحمة الإلهيّة التي أشار إليها ربّنا بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[19].

ولكنّ استمراريّة هذه الرحمة، ودوامها، تجري وفق سنّة أخرى عبّرت عنها الآية الكريمة: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[20].

ومعناها: أنّ سنّة الله سبحانه وتعالى جرت على الرحمة الواسعة التي بموجبها يبتدئ عباده بالنعم؛ بإرسال القائد الإلهيّ، باعتباره النعمة الكبرى التي ينال الناس بشكرها قمّة السعادة والكمال، فإن شكر الناس هذه النعمة، استمرّت لهم، وزادها الله بإنزال المزيد من النصر والفتح والتأييد والتسديد، وإن كفر الناس بهذه النعمة، جرت عليهم السنّة الأخرى التي سوف نتعرّض لها – قريبًا -؛ وهي "سنّة الغيبة".

ثمّ إنّ سنّة الحضور لها طرفان:

**الطرف الأوّل**: هو القائد الإلهيّ الذي يبتدئ الحضور بين الأمّة، بدعوتها إلى نصرته، وتربيتها، وتوجيهها، بما يؤهّلها للاضطلاع بمهمّة الخلافة الإلهيّة على وجه الأرض؛ من إقامة العدل فيها، وإعمارها،

---

(١٧) سورة **إبراهيم**، الآية ٧.

(١٨) سورة **إبراهيم**، الآيتان ٥ و٦.

(١٩) سورة **الأعراف**، الآية ١٥٦.

(٢٠) سورة **إبراهيم**، الآية ٧.



وتنميتها.

**والطرف الثاني**: هي الأمّة المرشّحة لخلافة الله في الأرض، فإذا حضر القائد الإلهيّ في ساحة الدعوة إلى طاعة الله، وإقامة العدل الإلهيّ على وجه الأرض، ثمّ استجابت الأمّة لهذه الدعوة، فحضرت بدورها في ساحة النصرة للقائد الإلهيّ، ولبّت دعوته إلى إقامة العدل، ونصرة الدين الإلهيّ لهذه الأمّة، استحقّت وسام الخلافة الإلهيّة، ونزل عليها الإمداد الإلهيّ بالنصر والتأييد، وتبوّأت مكانها اللائق بها؛ وهو "الشهادة على سائر الأمم"؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[21].

فإن استمرّت الأمّة في حضورها هذا، استمرّت النعمة الإلهيّة التامّة لها، وإن نكصت وتراجعت وتقلّصت النعمة الإلهيّة، وانكمشت بقدر تراجعها وانكماشها عن الحضور في ساحة النصرة للقائد الإلهي، وتلبية دعوته. ووفقًا لسنّة الحضور هذه، نجد أمير المؤمنين، عليه السلام، يقول:

أَمَا وَالَّذي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالم، وَلا سَغَبِ مَظْلُوم، لاَ لقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلاَلفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز[22].

فالحضور الجماهيريّ للأمّة، وإعلان استعدادها لطاعة القائد الإلهيّ ونصرته، بعد نكوصها وانكماشها، استوجب عودة القائد إلى الحضور الفعليّ على الصعيد السياسيّ، ومباشرته لقيادة الأمّة قيادة فعليّة، تطبيقًا لسنّة الحضور التي بموجبها يتوجّب على القائد الإلهيّ أن يلبّي دعوة الجماهير المسحوقة، التي تعلن عن حضورها هي بدورها في ساحة النصرة للقائد، وعن طاعتها وولائها له، كما قال أمير المؤمنين، صلوات

---

(21) سورة **البقرة**، الآية ١٤٣.

(22) خطب الإمام علي (ع)، **نهج البلاغة**، شرح الشيخ محمّد عبده (قم: دار الذخائر، الطبعة١، ١٤١٢هـ/ ١٣٧٠هـ.ش)، الجزء١، الصفحة ٣٧.

الله عليه: "لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود النّاصر [...] لألقيتُ حبلها على غاربها"[٢٣].

### ١. ٤ سنّة الغيبة في القيادة الإلهيّة

أسلفنا أنّ القيادة الإلهيّة بحسب المنطق القرآنيّ هي النعمة الكبرى التي يمنّ الله بها على عباده في الأرض، وقد أشرنا بإيجاز إلى أنّ النعمة الإلهيّة التامّة المتمثّلة بالقيادة الإلهيّة، تحكمها بعد حلولها بين الناس سنّة إلهيّة أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢٤].

وهنا ينبغي – تمهيدًا لتوضيح سنّة الغيبة – أن نقدّم مزيدًا من التوضيح لهذه السنّة الإلهيّة على أساس من بيّنات القرآن العظيم، فقد تعرّض القرآن إلى هذه السنّة في مواضع عديدة، نشير إلى بعضها:

منها قوله سبحانه وتعالى في أواسط سورة إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام، التي بدأها سبحانه وتعالى بالإشارة إلى نعمة القيادة الإلهيّة على بني إسرائيل المتمثّلة في إمامة موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، قال سبحانه وتعالى مؤكّدًا على السنّة الإلهيّة التي تحكم هذه النعمة التامّة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[٢٥].

وفيها تقرير واضح للسنّة الإلهيّة التي أشير إليها في بدايات السورة: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢٦].

وفي كلمة موجزة، إنّ القيادة الإلهيّة – وهي النعمة الكبرى التي تمنّ بها السماء على الأرض – إنّما تستمرّ في مباشرتها لقيادة الأمّة، ومدّها بالعطاء الإلهيّ، المتمثّل في إدارتها، وتوجيهها، وهدايتها نحو السعادة

---

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) سورة **إبراهيم**، الآية ٧.

(٢٥) سورة **إبراهيم**، الآيتان ٢٨ و ٢٩.

(٢٦) سورة **إبراهيم**، الآية ٧.



الكبرى، عندما تشكر الأمّة هذه النعمة، فتواصل طاعتها للقيادة الإلهيّة ونصرتها، وحمايتها. أمّا إذا كفرت الأمّة بهذه النعمة، فأعرضت عنها، وخرجت عن طاعتها، وتولّت عن نصرتها، وتركت القائد الإلهيّ وحيدًا في ساحة المواجهة مع الطاغوت، فإنّ ذلك سوف يسبّب انحسار النعمة، وانكماشها، ثمّ حرمان الأمّة منها، وهي في أشدّ الحاجة إليها.

وانحسار النّعمة الإلهيّة التامّة – أي القيادة الإلهيّة – بسبب كفرانها، له درجات؛ من أهمّها: "سنّة الغيبة" (غيبة القائد الإلهيّ)، وأخطرها: "سنّة الإبادة والاستئصال"، التي أشارت إليها آيات متعدّدة من القرآن الكريم؛ منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[٢٧].

وقد فسّر "الاستفزاز" في الآية بـ"القتل"[٢٨]، فيكون المعنى حينئذٍ أنّ مشركي قريش همّوا بقتل الرسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولو فعلوا ذلك لنزل عليهم العذاب، ولاستؤصلوا عن آخرهم؛ وذلك لأنّ الذي نفهمه من سنن الله سبحانه وتعالى التي بيّنها في كتابه، أنّ سنّة الله في خلقه تأبى على المجتمع الإنسانيّ – باعتباره جزءًا من المجموعة الكونيّة – خرق النظام الإلهيّ العادل، الذي قامت به السماوات والأرض، ولا يتّسع نظام الخلق الإلهيّ لمجتمع الإنسان إلّا في صورتين:

**الأولى**: أن يقيم نظام العدل الإلهيّ؛ أي: أن يعمل بما أمر الله، ويطيع القيادة الإلهيّة، وحينئذٍ يتناغم مع نظام الخلق الذي يحكم الكون بأسره، وتخدمه كلّ عناصر الوجود، وتفوّض له السلطة على الكون، ليقوم بدور الخلافة الإلهيّة.

(٢٧) سورة **الإسراء**، الآيتان ٧٦ و ٧٧.

(٢٨) راجع: الطبرسيّ، **تفسير مجمع البيان** (لبنان- بيروت: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة١، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م)، الجزء٦، الصفحة ٢٨٠.

الثانية: أن يكون تمهيدًا لقيام المجتمع العادل، وذلك عندما يخرق نظام العدل الإلهيّ، ويخرج عن طاعة القيادة الإلهيّة؛ ولكنّه – رغم ذلك – لم يفقد قابليّة التمهيد لقيام المجتمع العادل، وهنا تأتي "سنّة الإمهال"؛ لكن بشرط إمكانيّة التمهيد للمجتمع الصالح؛ بأن لا يفقد المجتمع البشريّ أهليّته للتغيير والإصلاح، وأن تظلّ الفرصة فيه باقية لكي يرجع إلى الصواب؛ ولو في أجياله اللاحقة. أمّا إذا فقد المجتمع هذه الأهليّة، فسوف يفقد المبرّر الذي يؤهّله لكي يتنعّم في هذا الكون بنعمة الوجود وغيرها من نعم الله التي لا يمكن أن تتجاوز حدود الحكمة والعدل، التي تأبى الظلم والفساد في الأرض.

وهذه هي السنّة التي نفّذتها الإرادة الإلهيّة بشأن قوم نوح، على نبيّنا وآله السلام، حين رفضوا نظام العدل، وخرجوا عن طاعة الرسول، وتجذّرت فيهم حالة الطغيان، حتّى فقدوا صلاحيّة التمهيد لقيام المجتمع العادل، وانعدمت فيهم كلّ القابليّات التي تؤهّلهم – حتّى على المدى البعيد – للرجوع إلى نظام العدل، والعودة إلى حظيرة الطاعة والنصرة للقيادة الإلهيّة. وهذا ما نجده بوضوح في ما صرّح به القرآن الكريم من تاريخ قوم نوح، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[٢٩] إلى أن يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٣٠].

وحاشا لنوح – وهو العبد الصالح الرؤوف بعباد الله – أن يكون دعاءه هذا للتشفّي من الكافرين، بل جاء دعاءه انسجامًا مع السنّة الإلهيّة بإبادة

(٢٩) سورة نوح، الآية ٥.

(٣٠) سورة نوح، الآيتان ٢٦ و ٢٧.



المجتمع المتمرّد عن طاعة الله، ذلك المجتمع الذي يفقد كلّ مؤهّلات الاستمرار في الوجود ضمن النظام الكونيّ العامّ، القائم على أساس الحقّ والعدل، بسبب انعدام العدل فيه، وفقدانه صلاحيّة التمهيد لقيام المجتمع الصالح على وجه الأرض. وهذه السنّة هي نفسها التي أشارت إليها الآية التي أسلفناها من سورة **الإسراء**: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[٣١].

إذ إنّ قتل الرسول الخاتم – وهو القائد الفريد الذي رشّحته الإرادة الإلهيّة لتأسيس مجتمع الخلافة الإلهيّة الدائمة – كان يعني انعدام الفرصة الأخيرة في المجتمع البشري لإقامة النظام العادل.

هذا، وقد فقدت المجموعة البشريّة الطاغية أهليّة التمهيد لقيام المجتمع الصالح، لأنّها لم تخضع بالفعل لطاعة القائد الإلهيّ، وتخلّت عن نصرته، وحمايته، والاهتداء بهديه، والاقتداء به فجرت عليه سنّة أخرى، هي "سنّة انحصار نعمة القيادة الإلهيّة"؛ وذلك بأن يُغيّب القائد عن الأمّة التي كفرت بنعمته، وأعرضت عن قيادته. وهذا التغييب:

**قد يكون مكانيًا**: بأن يُنقل القائد الإلهيّ إلى مكان آخر، ريثما تتهيّأ الأمّة للتفاعل مع قيادتها، وتحمّلها لمسؤوليّاتها تجاه القيادة الإلهيّة، المتمثّلة في النصرة والطاعة.

**وقد يكون زمانيًا**: بأن يختفي القائد عن أعين الناس لفترة قصيرة، أو طويلة من الزمن، منتظرًا تهيّؤ الظروف الزمانيّة، واستعدادها لظهوره، والقيام بمهمّته الكبرى؛ وهي إقامة المجتمع الصالح على وجه الأرض.

ونجد في **القرآن الكريم** نماذج من تنفيذ سنّة انحصار النعمة الإلهيّة، وتغييب القائد الإلهيّ في كبار القيادات الإلهيّة على مرّ التاريخ. فمن ذلك: تنفيذ سنّة الانحصار بشأن إبراهيم، عليه السلام، القائد الإلهيّ المؤسّس؛

(٣١) سورة **الإسراء**، الآيتان ٧٦ و ٧٧.

إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٣٢] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣٣]، إلى أن قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣٤].

وقال سبحانه وتعالى أيضًا في عرض آخر للقصّة نفسها: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [٣٥] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [٣٦].

هذه الآية تحكي قصّة هجرة إبراهيم من وطنه الذي نشأ فيه، وبدأ فيه دعوته الأولى، إثر المحاولة التي قام بها قومه من التآمر على قتله، وإحراقه، وإقدامهم على ذلك؛ لكن شاءت العناية الإلهيّة أن تحبط خطّتهم، وتُفشل مؤامراتهم، وأن تحرس يد القدرة الإلهيّة القيادة الصالحة، وأن تحافظ على نعمة الله الكبرى.

لكنّ الموقف الذي اتّخذه قوم إبراهيم من القيادة الإلهيّة المتمثّلة في إبراهيم، عليه السلام، كان كُفرًا صريحًا بالنعمة الإلهيّة، وإهدارًا لحرمتها، فكان أن جرت في حقّهم سنّة انحصار النّعمة الإلهيّة، فجاء الأمر الإلهيّ بضرورة مغادرة إبراهيم لأرضه وقومه إلى حيث يشاء الله. وبذلك نفذت سنّة الغيبة في القيادة الإلهيّة في لون من ألوانها؛ وهي: "الهجرة"،

---

(٣٢) سورة **العنكبوت**، الآية ١٦.

(٣٣) سورة **العنكبوت**، الآية ٢٤.

(٣٤) سورة **العنكبوت**، الآية ٢٦.

(٣٥) سورة **الصافات**، الآية ٨٣.

(٣٦) سورة **الصافات**، الآية ٩٩.



أو "الغيبة المكانيّة".

ومن نماذج تنفيذ سنّة الغيبة في القائد الإلهيّ ما يحكيه القرآن الكريم بشأن موسى، عليه السلام، حيث عصاه قومه، وأصرّوا على مخالفته وعصيانه. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ (٣٧) إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٣٨).

وقد ذكر الطبرسيّ في **مجمع البيان** عن بعض المفسّرين قوله: إنّهما [أي موسى وهارون عليهما السلام] لم يكونا في التيه؛ لأنّ التيه عذاب، وعذاب [أي: بنو إسرائيل] عن كلّ يوم عبدوا فيه العجل سنة، والأنبياء لا يعذّبون (٣٩).

فقد حصلت الفرقة بين بني إسرائيل، وقيادتهم الإلهيّة المتمثّلة في موسى وهارون، بعد إصرارهم على معصية القائد، والخروج عن طاعته، ولم يكن دعاء موسى، عليه السلام، وسؤاله أن يفرّق الله بينهما وبين قومه الفاسقين إلّا جريًا على سنّة الله سبحانه وتعالى، ولم يكن ذلك منه ضجرًا منهم، أو عن ضيق ذرع بهم، فقد ارتكبوا أعظم من ذلك عندما عبدوا العجل، فلم يضق بهم موسى، عليه السلام، ذرعًا ولا سأل ربّه عن ذلك أن يفرّق بينهم وبينه لأنّه لم يكن بينهم آنذاك، وقد طلبوا من هارون حينما

(٣٧) سورة **المائدة**، الآية ٢٠.

(٣٨) سورة **المائدة**، الآية ٢٦.

(٣٩) **مجمع البيان**، مصدر سابق، الجزء٣، الصفحة٢٨١.

نهاهم عن عبادة العجل، الانتظار ريثما يأتي موسى، عليه السلام، وقد حكى الله ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾(٤٠).

وقد وافقهم هارون على هذا الطلب، ولهذا اعترض عليهم موسى بعد رجوعه، كما حكى الله ذلك، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾(٤١).

وقد تلقّى موسى المعذرة التي تقدّم بها هارون بالقبول، وانتهى الأمر إلى أن تاب بنو إسرائيل، فتاب الله عليهم. لكنّ موقف بني إسرائيل من قضيّة الدخول في الأرض المقدّسة كانت تختلف عن موقفهم من عبادة العجل اختلافًا أساسيًّا، وذلك بإصرارهم على مخالفة أمر القيادة الإلهيّة بالدخول في الأرض المقدّسة، ومصارحتها بالعصيان، ورفضهم الرجوع إلى طاعته بالرغم من تأييدها، ودعوته المكرّرة لهم بالانقياد لأمره، وبالرغم من تشجيع الرجلين الذين أنعم الله عليهما لهم وهما: موسى وأخوه، ودعوتهما لنبي إسرائيل إلى طاعة القيادة الإلهيّة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ *

(٤٠) سورة **طه**، الآيتان ٩٠ و ٩١.

(٤١) سورة **طه**، الآيتان ٩٢ و ٩٤.



قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[42].

إنّ الإصرار على معصية القائد الإلهيّ يفقد القائد الإلهيّ دوره القياديّ بين الأمّة، ويؤدّي – لا محالة – إلى انفصام العروة التي تجمع بينهما وبين قاعدتها الشعبيّة، ويحول دون تمكّن القائد الإلهيّ من ممارسة دوره القياديّ بين قومه ومجتمعه، وهذا هو الذي يستوجب منطقيًّا – وعلى أساس من أصول العقل، وقواعد الحكمة – أن تنكمش النعمة، وتنحصر القيادة الإلهيّة، حتّى تتبدّل الظروف الموضعيّة للأمّة، وتتجدّد الفرصة التي تتمكّن فيها القيادة الإلهيّة من أداء دورها الرساليّ المطلوب بين الأمّة.

ومن نماذج تنفيذ سنّة الغيبة في القيادة الإلهيّة ما حدث بشأن عيسى، عليه السلام؛ فقد تظاهر عليه قومه، وهمّوا بقتله، فرفعه الله إليه. قال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[43] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[44].

ففي هذه الآيات حكاية أخرى عن سنّة الغيبة في القيادة الإلهيّة؛ إذ إنّ الله غيّب حجّته عن النّاس، ورفعه إليه، بعدما امتنع عليه أن يمارس مهمّته القياديّة بين قومه الذين أرسل إليهم، بعد أن همّوا بقتله. وقد استمرّت سنّة الغيبة في القيادة الإلهيّة بعد عيسى، عليه السلام، حتّى مبعث نبيّنا محمّد، صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما يحكي الله سبحانه وتعالى ذلك

(٤٢) سورة **المائدة**، الآيات ٢٠- ٢٦.

(٤٣) سورة **النساء**، الآية ١٥٥.

(٤٤) سورة **النساء**، الآية ١٥٩.

بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤٥].

وقد وردت روايات مستفيضة تؤكّد أنّ زمان الفترة بين عيسى ونبيّنا لم يكن خاليًا من الحجج والأنبياء، بل تواصلت مسيرة القيادة الإلهيّة باستمرار، وكان هنالك أنبياء وأوصياء متعدّدون خلال هذه الفترة، لكنّهم كانوا مستورين غير ظاهرين.

قال الشيخ الصدّوق في كتاب **إكمال الدين وإتمام النعمة**، بعد ذكره الأحاديث عن النبيّ والأئمّة المعصومين، عليهم السلام، تدلّ على تواصل خطّة القيادة الإلهيّة في زمان الفترة:

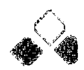
> وإنّما معنى الفترة أنّه لم يكن بينهما رسول، ولا نبيّ، ولا وصيّ ظاهر مشهور كمن كان قبله، وعلى ذلك دلّ الكتاب المنزل أنّ الله عزّ وجلّ بعث محمدًا صلّى الله عليه وآله وسلّم على حين فترة من الرسل؛ لا من الأنبياء والأوصياء؛ ولكن قد كان بينه وبين عيسى عليهما السلام أنبياء وأئمّة مستورون خائفون؛ منهم: خالد بن سنان العبسيّ-، نبيّ لا يدفعه دافع، ولا ينكره منكر؛ لتواطئ الأخبار بذلك عن الخاص والعامّ وشهرته عندهم... وكان بين مبعثه ومبعث نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم خمسون سنّة[٤٦].

## ٢. سنّة المرحلة في غيبة القيادة الإلهيّة

غيبة القائد الإلهيّ لها مراحل تتنوّع بحسب الظروف التي تحيط بالقيادة الإلهيّة، واختلاف الفرص المتاحة لعملها، وهي – بحسب ما نجده في القرآن الكريم وسنّة المعصومين – كالتالي:

(٤٥) سورة **المائدة**، الآية ١٩.

(٤٦) الشيخ الصدّوق، **كمال الدين وإتمام النعمة**، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري (قم: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، ١٤٠٥هـ)، الصفحة ٦٥٩.



### ٢.١ المرحلة الأولى: غيبة التجميد

وذلك بأن يجمّد القائد الإلهيّ نشاطه القياديّ، ويعتزل ساحة العمل القياديّ المعلن الصريح، ويلجأ إلى العزلة الظاهريّة، وتنحصر نشاطاته القياديّة ضمن دوائر محدّدة خاصّة، وذلك عندما تستسلم الأمّة لقوى سياسيّة معادية لخطّ القيادة الإلهيّة، وتُعرض بذلك عن طاعة القائد الإلهيّ، وتؤثر معصيته ومشقّته، وتصرّ على مخالفته، ولكن لم تنعدم كلّ فرص العمل للقيادة الإلهيّة بصورة كاملة، بل تبقى للقيادة الإلهيّة بعض الفرص المحدودة التي يتمكّن من استمرارها لتربية الكوادر المؤمنة، وتأهيلها للقيام بواجبها الرساليّ في الظرف المناسب. وهذه السنّة هي التي جرت بشأن موسى بعد أن تاه قومه في الأرض، وهي المرحلة الأولى من مراحل سنّة الغيبة في القيادة الإلهيّة.

### ٢.٢ المرحلة الثاني: غيبة الهجرة

وذلك بأن يترك القائد الإلهيّ البيئة الاجتماعيّة التي يبدأ فيها نشاطه القياديّ، وينتقل إلى بيئة أخرى، ومكانٍ آخر، وعندما تنعدم في البيئة الأولى فرص العمل والتحرّك للقائد الإلهيّ بصورة كاملة، وتزمع القوى المعادية للقيادة الإلهيّة المسيطرة على مقاليد السلطة والقوّة على قتل القائد الإلهيّ، واستئصال القيادة الإلهيّة، أو فرض الحصار الكامل عليها، بما يفصلها تمامًا عن قاعدتها الشعبيّة، ويحول بينها وبين القيادة الإلهيّة بشكل كامل. وهذا ما جرى للرسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما تحكي الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[٤٧].

وهذه السنّة نفسها جرت قبل ذلك في إبراهيم – كما أشرنا إليها سالفًا – وكما جرى ذلك لموسى، عليه السلام، في أوّل أمره، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ

(٤٧) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[48].

### ٢.٣ المرحلة الثالثة: غيبة الاستتار

وذلك عندما تنعدم فرصة العمل للقيادة الإلهيّة في مرحلة زمانيّة معيّنة بصورة كاملة، بحيث لا يجدي معها تنفيذ سنّة الهجرة لسيطرة القوى المعادية على كلّ المناطق المرشّحة لاحتضان القيادة الإلهيّة، عندئذٍ يأتي دور غيبة الاستتار، فتسحب السماء نعمتها الكبرى إلى حيث يشاء الله، وتحتفظ بها ريثما تتجدّد في الأمّة فرصة احتضان القيادة الإلهيّة والتفاعل معها، من أجل إقامة المجتمع العادل، وتنفيذ السنّة الإلهيّة بخلافة الصالحين في الأرض.

ويبدو أنّ تنفيذ سنّة استتار القيادة الإلهيّة تُلزم تنفيذ سنّة أخرى في الأمّة التي تنبعث القيادة فيها، وهي سنّة الاستبدال، سوف نوضح في حديثنا عن "ثورة الحسين، عليه السلام، في منظور السنن التاريخيّة في **القرآن الكريم**" بعض القواعد التي تجري على أساسها سنّة الاستبدال، ومن أهمّها: نقد الأمّة المستخلفة لميثاقها مع القيادة الإلهيّة، وفقدانها – عندئذٍ – صلاحيّة الخلافة الإلهيّة، وزوال استعدادها للقيام بدور النصرة والطاعة والقيادة الإلهيّة.

وعلى هذا الأساس، نفذت سنّة الاستبدال على بني إسرائيل، وسنّة استتار القيادة الإلهيّة التي كانت متمثّلة في عيسى، عليه السلام، في وقتٍ واحد. وهذا ما تحكيه لنا الآية الكريمة التي تقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ

(٤٨) سورة **القصص**، الآيتان ٢٠ و ٢١.



وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[٤٩].

فقد كان بنو إسرائيل الأمّة التي استخلفها الله سبحانه وتعالى لإقامة العدل في الأرض بقيادة القائد الإلهيّ موسى، عليه السلام، وقد حكت آيات كثيرة من القرآن تفضيلها بهذا الاستخلاف، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٥٠].

ويقول سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[٥١].

ولكنّها بنقضها للميثاق وقتلها الأنبياء بغير حقّ، وبإقدامها على قتل القيادة الإلهيّة المتمثّلة بعيسى، عليه السلام – وهي الفرصة الأخيرة التي أتاحتها السماء لبني إسرائيل للرجوع إلى رشدها، والوفاء بعهدها مع الله سبحانه وتعالى – فوّتت على نفسها فرصة الاستخلاف الإلهيّ بشكل كامل، وبرهنت عمليًّا على زوال آخرِ ما تبقّى فيها من صلاحيّات القيام بمسؤوليّة الخلافة الإلهيّة على الأرض. وبذلك، استحقّت تنفيذ سنّة الاستبدال بشأنها، وهذا ما كان.

فقد استبدلت يد الحكمة الإلهيّة شريحة أخرى من بني إبراهيم، عليه السلام، وهم العرب أبناء إسماعيل، عليه السلام، لكي يقوموا بمسؤوليّة الخلافة الإلهيّة، وإقامة العدل على وجه الأرض، فقاموا بهذه المهمّة الكبرى – في أوّل الأمر – خير قيام، حتّى أقاموا العدل في الجزيرة العربيّة،

---

(٤٩) سورة **النساء**، الآيات ١٥٥– ١٥٩.

(٥٠) سورة **البقرة**، الآية ٤٧.

(٥١) سورة **المائدة**، الآية ٢٠.

وشيئًا من مناطق أخرى، وأضحّوا ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٥٢]؛ غير أنّهم – كما يحكي لنا تاريخنا المؤسف – سلكوا آخرَ الأمرِ مسلك بني إسرائيل في نقضهم للميثاق مع الله سبحانه وتعالى، والخروج عن طاعة القيادة الإلهيّة إلى أن ارتكبت فيهم أشنع جريمة عرفها التأريخ الإنسانيّ، عندما ذبحت القيادة الإلهيّة المتمثّلة في سبط رسول الله الإمام الحسين، عليه السلام، وأُبيد الصالحون من أهل بيته وأصحابه، سلام الله عليهم أجمعين.

وعلى إثر ذلك، نفّذت السماء سنّة الاستبدال على هذه الشريحة كسابقتها، واقترنت سنّة الاستبدال هذه بسنّة تجميد القيادة الإلهيّة عملها – أوّلًا – تمهيدًا لتنفيذ سنّة الاستتار الكامل، وهذا ما تمّ بعد أن أعدّت القيادة الإلهيّة في عصر تجميدها الأخير – بدءًا من الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين حتّى الإمام الحسن العسكريّ، عليهم السلام – الأمّة لتنفيذ سنّة استتار القيادة الإلهيّة، وذلك عندما فوّتت هذه الأمّة على نفسها – كسابقتها – فرصة الاستخلاف الإلهيّ، فغابت القيادة الإلهيّة غيبة كاملة، ريثما تعود الأمّة إلى رشدها، وتحيا فيها من جديد صلاحيّات الاستخلاف الإلهيّ، وتنفيذ وعد الله القائل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٥٣].

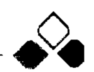
كما قال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[٥٤].

---

(٥٢) سورة آل **عمران**، الآية ١١٠.

(٥٣) سورة **الأنبياء**، الآية ١٠٥.

(٥٤) سورة **النور**، الآية ٥٥.



**٣. صلح الإمام الحسن، عليه السلام، على ضوء سنن القيادة الإلهيّة**

لقد وضّحنا – فيما سبق – بعض سنن القيادة الإلهيّة في **القرآن الكريم**، وأشرنا إلى سنّة انحسار القيادة الإلهيّة، وغيبتها، بمراحلها الثلاث؛ من "التجميد"، و"الهجرة" و"الاستتار". كلّ ذلك وفقًا لظروف استجابة الأمّة، ومدى صلاحيّتها للقيام بدور الخلافة الإلهيّة على وجه الأرض.

وكما نفّذت سنن القيادة الإلهيّة في الأنبياء السابقين، وأوصيائهم، نفّذت بشأن الرسول القائد، وأوصيائه المعصومين من بعده، صلوات الله عليهم أجمعين. وقد أشرنا إلى تنفيذ سنّة الهجرة في عصر القيادة النبويّة، بعدما همّت قريش بقتله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقد استمرّ تنفيذ السنن الإلهيّة المتمثّلة في أوصياء رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، ابتداءً من أمير المؤمنين، حتّى خاتمهم الحجّة المنتظر، صلوات الله عليهم أجمعين، وجاء صلح الإمام الحسن، عليه السلام، وفقًا لهذه السنن، وبوجه خاصّ تنفيذًا لسنّة التجميد في القيادة الإلهيّة، في مقطع مهمّ من مقاطع تاريخ هذه الأمّة.

لقد نفّذت سنّة التجميد في القيادة الإلهيّة بعد وفاة الرسول الأعظم، صلّى الله عليه وآله وسلّم، عندما عُصي الرسول، وهُجرت وصيّته، ولم يثبت على ميثاق الطاعة والنصرة للقيادة الإلهيّة المستخلفة بعد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، إلّا الأقلّون من صحابة الرسول الأوفياء، فنفّذت سنّة التجميد، واعتزلت القيادة الإلهيّة ساحة التصدّي السياسيّ، وانحسر نشاطها ضمن دائرة الممكن من النشاط التربويّ، والتعليميّ، والتوجيه الثقافيّ، وأحيانًا – وبحدود ما كان يتيسّر لها – تسديد السلطة السياسيّة بما يعينها على أمرها ضمن دائرة المصالح الإسلاميّة العامّة.

هذا هو الدور الأوّل من تنفيذ سنّة التجميد في القيادة الإلهيّة بعد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد أشار أمير المؤمنين، عليه السلام، إلى ذلك بقوله:

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ المَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا الحلق من عظم ونحوه، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ صبر على الاختناق، وَعَلى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ[55].

وقال عليه السلام:

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فلان وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يلْقَى رَبَّهُ فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا[56]...

وحينما رجعت الأمّة إلى طاعة الرسول بعد مقتل عثمان، واجتمعت حول عليّ، عليه السلام، تعلن له الولاء والطاعة، جاء دور سنّة الحضور والتصدّي للقيادة، فعاد القائد الإلهيّ ليمارس مهمّته القياديّة بعد إعلان الأمّة طاعتها له، واستعدادها لنصرته، بالرغم ممّا أصابها من التشويه الثقافيّ والتربويّ، والابتعاد عن سنّة العدل التي أقامها الرسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، ممّا جعلها تضعف عن القيام بواجب النصرة والطاعة، وتتخلّف مرّة أخرى عن القيادة الإلهيّة بعد زمن يسير.

وقد أشار صلوات الله عليه إلى حضور الأمّة في ساحة النصرة بعد غيبتها، وما نتج من ذلك من ضرورة استجابة القيادة الإلهيّة لهذا الحضور الجماهيريّ بقوله:

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلا سَغَبِ مَظْلُومٍ لألقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها[57].

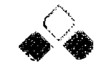
ولكنّ هذا الحضور الجماهيريّ لم يدم طويلًا، فقد أنتجت البذور

---

(٥٥) **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٦٧.

(٥٦) المصدر السابق نفسه، الصفحة ٣٢.

(٥٧) المصدر السابق نفسه، الصفحة ٣٧.



المسمومة التي زُرعت بين الأمّة ثمارها المُرّة، وبدأت القوى المعادية لرسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولخطّ القيادة الإلهيّة، تتآمر عليها، وحالفها الحظّ في تآمرها هذا، حتّى نالت كثيرًا من التوفيق.

وقد وصف أمير المؤمنين واقع المجتمع الإسلاميّ بعد ابتعاده عن سنّة رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتمكّن القوى المعادية للإسلام ولرسوله على احتلال كثير من مواقع النفوذ والتأثير فيه، قائلًا:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قد أَصْبَحنا في دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ المُحْسِنُ مُسِيئًا وَيَزدادُ الظَّالِمُ فيهِ عُتُوًّا لا ننتفعُ بِمَا عَلِمْنَا وَلاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلاَ نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بنا فالنَّاسُ على أَربعةِ أَصناف: منهم مَنْ لاَ يمنعُه الفَسَادَ في الأرضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِه وَكَلاَلَةُ حَدِّه[58] وَنَضِيضُ وَفْرِه[59] وَمِنْهُمُ المُصْلِتُ لِسَيْفِه وَالمُعْلِنُ بِشَرِّه وَالمُجْلِبُ بِخَيْلِه وَرَجِلِه، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ لحطَام يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَب يَقُودُهُ أَوْ مِنْبَر يَفْرَعُهُ[60] وَلَبِئْسَ المَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضًا وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَلاَ يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا [..] وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ المُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ وَانقطاعُ سَبَبِه فَقَصَرَتْهُ الحالُ عَلَى حَالِه فَتَحَلَّى بِاسْمِ القَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَلَيسَ مِن ذلكَ في مَرَاحٍ وَلاَ مَغْدًى[61].

هذه هي الطبيعة العامّة للمجتمع الذي عاصر خلافة أمير المؤمنين، عليه السلام، ثمّ قال صلوات الله عليه وهو يصف الأقليّة المؤمنة الثابتة على الإيمان: "وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ المَرْجِعِ وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ المَحْشَرِ فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ وَدَاعٍ مُخْلِصٍ وَثَكْلاَنَ مُوجَعٍ"[62].

وفي خطبة له أخرى يصف الناس في عهده قال صلوات الله عليه:

(٥٨) كلالة حدّه: أي ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه.

(٥٩) نضيض وفره: أي قلّة ماله.

(٦٠) فرع المنبر: أي علاه.

(٦١) **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٧٨.

(٦٢) **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٧٩.

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ كَلاَمُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلاَبَ وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِي حَيَادِ مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَلا اسْتَرَاحَ قَلْبُ من قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ [..] أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَلا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَلا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبُّكُمْ[٦٣].

ويمكن معرفة أوضاع المجتمع أيضًا من إحدى خطب أمير المؤمنين، عليه السلام، البليغة وهو يقول:

فَيَا عَجَبًا عَجَبًا وَاللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمّ مِن اجْتِمَاعِ هؤُلاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَن حَقِّكُمْ فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلا تُغِيرُونَ وَتُغْزَوْنَ وَلاَ تَغْزُونَ وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الحَرِّ قُلْتُمْ هذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الحَرُّ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هذِهِ صَبَارَّةُ القُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ - وَاللهِ - مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ حُلُومُ الأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللهِ جَرَّتْ نَدَمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا قَاتَلَكُمُ اللهُ لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلاَنِ حَتّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنّ ابْنَ أَبِي طَالِب رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلكِنْ لا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ للهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ وَهـا أنا ذا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ وَلكِنْ لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ[٦٤].

هذا هو الواقع المرّ الذي كان عليه المجتمع الذي تولّاه أمير المؤمنين، عليه السلام. ولكن بالرغم من كلّ عوامل الشرّ والفساد التي كانت تخرم جسم ذلك المجتمع، فإنّ القيادة الإلهيّة المتمثّلة بأمير المؤمنين، عليه السلام،

---

(٦٣) **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٧٤.

(٦٤) **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٧٠.



ظلّت تحافظ على تماسكه النسبيّ، دفعه – وإن عسر – نحو القيام بمسؤوليّاته الكبرى في الدفاع عن العدل، ومواجهة الطغاة، والمجرمين، الحاقدين على دين الله ورسوله.

غير أنّ استشهاد أمير المؤمنين، عليه السلام، كانت الضربة القاضية التي تلقّتها المجموعة المؤمنة في المجتمع الإسلاميّ، الثابتة على عهدها مع القيادة الإلهيّة حتّى ذلك الحين. كما رفع في نفس الوقت من معنويّات الجبهة المعادية لها، وأزاح عن طريقها أعظم ما كانت تواجهه من الموانع التي تحول دون تحقيق طموحها في النزوح على السلطة، والاستيلاء التامّ على مقاليد الحكم والإمارة في المجتمع الإسلاميّ آنذاك.

خلت ساحة الصراع عمّن به كانت ترجح كفّة المؤمنين، الأمير الذي باشر رسول الله إعداده للقيام بمهمّة القيادة بعده، ونصّبه بأمر من الله، إمامًا على الناس، ذلك الذي عرفه الناس أعظم شريك ومؤازر لرسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، في بناء الأمّة وإقامة الدين، ذلك الصرح الشامخ الذي لم يسَعْ لأحدٍ من الناس بعد رسول الله أن يدانيه في سابقة، ولا يضاهيه في مكرمة، ولا يماثله في فضيلة من فضائله الجمّة التي عجز عن وصفها المادحون. عند ذلك، وهن ما تبقّى من العزيمة في نفوس الأكثرين ممّن زحفوا إلى نصرة القيادة الإلهيّة بعد مقتل عثمان، مجدّدين لها البيعة، ومعلنين لها الوفاء بالطاعة والنصرة، عادوا معرضين عن نصرة القيادة الإلهيّة المتمثّلة – آنذاك – في سبط رسول الله الإمام الحسن المجتبى، عليه السلام، خارجين عن طاعتها، مؤثرين معصيتها ومخالفتها. وقد جاء في رواية أبي مخنف – في وصف حال الناس الذين كانوا مع الإمام الحسن بعد استشهاد أبيه، صلوات الله عليه –:

وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه، فلمّا بلغ جسر منبج، تحرّك الحسن عليه السلام، وبعث حُجر بن عَديّ، يأمر العمّال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد، فتثاقلوا عنه، ثمّ خفّوا، ومعه أخلاط الناس؛ بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم

محكّمة، يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبيّة، اتّبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين، فسار حتّى أتى حمام عمر، ثمّ أخذ إلى دير كعب، فنزل ساباط، دون القنطرة، وبات هناك. فلمّا أصبح، أراد أن يمتحن أصحابه، وليستبرئ أحوالهم في الطاعة له، ليتميّز بذلك أولياؤه من أعدائه، ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام، فأمر بهم أن ينادى بالصلاة جامعة، فاجتمعوا، فصعد المنبر، فخطبهم، فقال:

الحَمْدُ للّه بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ حَامِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللّهُ كُلَّمَا شَهِدَ له شاهدٌ وأَشهدُ أنَّ محمّدًا عبدُه ورسولُه، أرسلَه بالحقّ وائتمنَه على الوحي صلى الله عليه وآله. أمّا بعدُ، فوالله إنّي لأرجو أن أكونَ قد أصبحتُ - بحمدِ اللهِ ومنِّه - وأنا أنصحُ خلقِ اللهِ لخلقه، وما أصبحتُ محتملًا على مسلم ضَغينَة، ولا مُريدًا له بسوءٍ ولا غَائلة، ألا وَإنَّ ما تَكرهُونَ في الجماعةِ خيرٌ لكم ممّا تُحبُّونَ في الفُرقة، ألا وَإنّي ناظرٌ لكم خيرًا من نَظرِكم لأنفسِكم، فلا تُخالفوا أمري، وَلا تَرُدُّوا عليَّ رأيي، غفرَ اللهُ لي ولكم، وأرشَدَني وإيّاكم لما فيه المحبّةُ والرِّضا.

قالَ: فنظرَ النّاسُ بعضُهم إلى بعض، وقالوا: ما تَرَوْنَهُ يُريدُ بما قالَ؟ قالوا: نَظُنُّه - والله - يُريدُ أن يُصالحَ معاويةَ، ويُسَلِّمَ الأمر إليه! فقالوا: كفرَ - والله - الرّجلُ ثمّ شدُّوا على فُسْطَاطِه، فانتهبوه، حتّى أخذوا مُصلاة من تحته، ثمّ شدَّ عليه عبدُ الرحمن بن عبدِالله بنِ جِعَالٍ الأزْديّ فنزعَ مِطْرَفَه عن عَاتِقه فبقيَ جالسًا متقلّدًا السّيفَ بغير رداءٍ، ثمّ دَعَا بفرسِه فرَكِبَه وأَحْدَقَ به طَوَائفُ من خاصّته وشيعته ومنعوا منه مَنْ أرادَه، فقالَ: ادعُوا إليَّ رَبِيْعَةَ وهَمْدَانَ.

فدُعُوا له، فأطافوا به، ودفعوا النّاسَ عنه. وسارَ وَمَعه شوبٌ مِنَ النّاسِ، فلمّا مرَّ في مُظلم ساباط بَدَرَ إليه رجلٌ من بني أسد يُقالُ له الجَرّاحُ بنُ سِنان، فأخذَ بلجام بغلتِه وبيدِه مِغْوَلٌ، وقالَ: اللهُ أكبرُ، أشركتَ - يا حسنُ - كما أشركَ أبوكَ من قبلُ! ثمّ طعنَه في فخذه فشقَّه حتّى بلغَ العظمَ.

إلى أن يقول: واشتغلَ [الحسن، عليه السلام] بنفسه يُعالِجُ جُرْحَه. وكتبَ



جماعةٌ من رؤساءِ القبائلِ إلى معاويةَ بالسمع بالطّاعةِ له في السِّرِّ، واستحثّوه على السّيرِ نحوَهم، وضَمِنُوا له تسليمَ الحسنِ عليه السلام إليه عندَ دُنُوِّهم من عسكرِه، أو الفتكَ به[٦٥].

يحكي لنا هذا النصّ صورة واضحة عن حالة التمرّد التي عمّت معسكر الإمام، حتّى وجد إمام المسلمين نفسه غريبًا بين أهله، قليل الناصر، غير مطاع، وهي الحالة التي ظهرت بوادرها منذ خلافة أبيه.

في حالة كهذه، لا متّسع لمواصلة القيادة الإلهيّة دورها القياديّ، فتجري – لا محالة – سنّة التجميد التي سبق الحديث عنها، ويتحتّم عندئذٍ على القائد الإلهيّ من تعبئة الجماهير، والقيام بدوره القياديّ في مواجهة الطواغيت، وعوامل الشرّ والفساد، وإقامة العدل على وجه الأرض.

تقول الرواية:

فازدادت بصيرة الحسن، عليه السلام، بخذلان القوم له، وفساد نيّة المحكّمة فيه، بما أظهروه له من السب والتكفير له، واستحلال دمه، ونهب أمواله، ولم يبقَ معه من يأمن غوائله؛ إلّا خاصّته من شيعة أبيه وشيعته، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام، فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به، وتسليمه إليه، فاشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطًا كثيرة، وعقد له عقودًا، كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن، عليه السلام، وعلم باحتياله بذلك، واغتياله، غير أنه لم يجد بدًّا من إجابته إلى ما التمس منه من ترك الحرب، وإنفاذ الهدنة؛ لما كان عليه أصحابه – ممّا وصفناه – من ضعف البصائر في حقّه، والفساد عليه، والخلف منهم له، وما انطوى عليه كثير منهم في استحلال دمه، وتسليمه إلى خصمه[٦٦].

وهكذا جرت – مرّة أخرى – سنّة التجميد في القيادة الإلهيّة المتمثّلة في سبط النبيّ الأكبر، الإمام الحسن، عليه السلام، وكانت ثورة الحسين،

---

(٦٥) الشيخ المفيد، **الإرشاد** (لبنان- بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م)، الجزء ٢، الصفحتان ١٠ و١١.

(٦٦) **الإرشاد**، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ١٢.

عليه السلام، بعد موت معاوية تنفيذًا لسنّة الحضور من جديد بعدما أعلنت الجماهير ولاءها له، واستعدادها لطاعته ونصرته، وأقدمت على بيعة سفيره الذي أنفذه إليهم، وهو مسلم بن عقيل، رضوان الله عليه.

### ٤. ثورة الإمام الحسين، عليه السلام، من منظور السنن التاريخيّة في القرآن الكريم

تحتلّ السنن التاريخيّة موقعًا متميّزًا، ومساحة واسعة في **القرآن الكريم**، واختصّت القوانين الاجتماعيّة التي تحكم تطوّر المجتمع البشريّ بحصّة كبيرة من آيات الذكر الحكيم.

ونودّ أن نتجنّب التعبير عن هذه الحقائق القرآنيّة بالنظريّة. فمصطلح النظريّة يفهم منه أحيانًا الحالة الفكريّة والاجتماعيّة التي تعبّر عن رأي إنسانيّ يصيب ويخطئ، وليس الأمر في حقائق **القرآن** العظيم من هذا القبيل؛ إلّا أنّ **للقرآن الكريم** نظرته الشموليّة للنظام الاجتماعيّ. فهناك تفسيرٌ قرآنيّ للمجتمع، ولتطوّر التاريخ والأحداث الاجتماعيّة وبنسقٍ وتكاملٍ فريدين حقًا، إذ يمكن تفسير كلّ حادث تاريخيّ على ضوء الموازين والمعايير التي يقدّمها **القرآن الكريم**.

## سنّتان تاريخيّتان

من السنن التاريخيّة التي يؤكّد **القرآن الكريم** عليها – في مواضع عديدة من آياته الشريفة – سنّتان تاريخيّتان؛ هما: "سنّة الاستخلاف"، و"سنّة الاستبدال".

ونريد في هذه العجالة تسليط الضوء على ثورة الإمام الحسين، عليه السلام، من خلال هاتين السّنتين إن شاء الله تعالى.

### ١. سنّة الاستخلاف

ذكرت آيات **القرآن الكريم** أنّ الله سبحانه وتعالى جعل آدم خليفةً على



وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾(٤٩).

فقد كان بنو إسرائيل الأمَّة التي استخلفها الله سبحانه وتعالى لإقامة العدل في الأرض بقيادة القائد الإلهيّ موسى، عليه السلام، وقد حكت آيات كثيرة من القرآن تفضيلها بهذا الاستخلاف، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٥٠).

ويقول سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾(٥١).

ولكنّها بنقضها للميثاق وقتلها الأنبياء بغير حقّ، وبإقدامها على قتل القيادة الإلهيّة المتمثّلة بعيسى، عليه السلام – وهي الفرصة الأخيرة التي أتاحتها السماء لبني إسرائيل للرجوع إلى رشدها، والوفاء بعهدها مع الله سبحانه وتعالى – فوّتت على نفسها فرصة الاستخلاف الإلهيّ بشكل كامل، وبرهنت عمليًّا على زوال آخر ما تبقّى فيها من صلاحيّات القيام بمسؤوليّة الخلافة الإلهيّة على الأرض. وبذلك، استحقّت تنفيذ سنّة الاستبدال بشأنها، وهذا ما كان.

فقد استبدلت يد الحكمة الإلهيّة شريحة أخرى من بني إبراهيم، عليه السلام، وهم العرب أبناء إسماعيل، عليه السلام، لكي يقوموا بمسؤوليّة الخلافة الإلهيّة، وإقامة العدل على وجه الأرض، فقاموا بهذه المهمّة الكبرى – في أوّل الأمر – خير قيام، حتّى أقاموا العدل في الجزيرة العربيّة،

(٤٩) سورة **النساء**، الآيات ١٥٥– ١٥٩.

(٥٠) سورة **البقرة**، الآية ٤٧.

(٥١) سورة **المائدة**، الآية ٢٠.

– أنّه يريد ما يريد الله سبحانه وتعالى، تلك الميزة التي أهلّت آدم، وجعلته خليفة لله على الأرض.

وممّا تقدّم بيانه، نفهم أنّ الخلافة الإلهيّة تتضمّن إدارة الأرض والمجتمع وفق ما يريده الله سبحانه وتعالى؛ وهذا معناه السلطة، والحكم، والقيادة السياسيّة. فخليفة الله سبحانه وتعالى على الأرض، من تُعطى له السلطة؛ لأنّ السلطة لله سبحانه وتعالى وحده، وليست لغيره أبدًا، فيعطيها لمن ينفّذ إرادته في الأرض؛ هذه هي الخلافة كما نفهمها من **القرآن الكريم**.

والخلافة كما – نجد في **القرآن** – نوعان: **خلافة فرديّة**، وأخرى **جماعيّة**. وهي تبدأ بالفرد الأصلح، وتنتهي بالمجتمع الصالح، أو المجموعة الصالحة، لتصبح المجموعة التي استخلفها الله سبحانه وتعالى على وجه الأرض. فالقائد المزكّى المنصوب من قبل الله، والذي يقيم حكم الله سبحانه وتعالى يُربّي أمّة، فإذا وُجد المجتمع الذي تربّى على يد القائد الأصلح، وجد المجتمع الخليفة الذي يكون خليفة لله سبحانه وتعالى؛ أي المجتمع الذي يطبّق أوامر الله ونواهيه.

يقول الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٦٩).

### ٢. سنّة الاستبدال

وإلى جانب سنّة الاستخلاف في **القرآن الكريم**، تعرض الآيات القرآنيّة الكريمة مفهومًا قرآنيًّا آخر، وهو مفهوم "سنّة الاستبدال".

إنّ لله جلّ وعلا مع عباده مواثيق عديدة منها: "ميثاق النصرة"، وهو ميثاق الله سبحانه وتعالى مع المؤمنين، وهم من يمكن التعبير عنهم بـ"الأمّة الخليفة". فلقد أخذ الله سبحانه وتعالى من الأمّة الخليفة الميثاق

---

(٦٩) سورة **الأنعام**، الآية ١٦٥.



والعهد على النصرة. يقول عزّ من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[70] إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾[71]. و﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[72].

وميثاق النصرة هو ميثاق الله مع المؤمنين، أن يبذلوا أموالهم وأنفسهم لنصرة دين الله. إنّه ميثاق وعهد بين الله سبحانه وتعالى وبين من يؤمن ليبذل في سبيل الله كلّ ما يملك، بإزاء أن يمكّنه الله في الدنيا، وأن يعطيه جنّته، ورضاه في الآخرة، أن ينصر المؤمن دين الله بماله، ونفسه، وبكلّ ما أوتي لكي ينصره الله سبحانه وتعالى، ويعطيه جنّته ورضاه. هذا هو ميثاق نصرة "الجماعة المؤمنة"، أو "الأمّة الخليفة"، الأمّة التي أوكل إليها تطبيق حكم الله على الأرض، فلو وفت الأمّة الخليفة بميثاقها مع الله، فنصرت دين الله، وفى الله لها بوعده، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[73]، ومكّنها الله في الأرض؛ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[74].

ثمّ يجعل الله الجماعة المؤمنة قادةً، وملوكًا، وأعزّة بعزّ الله سبحانه وتعالى، وهو الذي جرى مع الأمم السابقة كبني إسرائيل حسبما يقصّ لنا **القرآن الكريم** من تاريخهم، وأحوالهم؛ فقد نصرهم الله إذا نصروه، وأهلك عدوّهم، وجعلهم ملوكًا، وآتاهم ﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[75].

ثمّ يبيّن الله سبحانه وتعالى في **قرآنه الكريم** كيف أنّ الأمّة الخليفة إذا نقضت ميثاق النصرة، وخانت بعهدها مع الله سبحانه وتعالى، ينفّذ

(٧٠) سورة **التوبة**، الآية ١١١.
(٧١) سورة **التوبة**، الآية ١١١.
(٧٢) سورة **الأحزاب**، الآية ٢٣.
(٧٣) سورة **البقرة**، الآية ٤٠.
(٧٤) سورة **النور**، الآية ٥٥.
(٧٥) سورة **المائدة**، الآية ٢٠.

بحقّها قانون آخر؛ وهو سنّة الاستبدال. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[76]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[77].

وسنّة الاستبدال إنّما تجري حينما تنقض الأمّة الخليفة ميثاق النصرة مع الله سبحانه وتعالى، وقد حكى لنا القرآن الكريم مصير الأمّة التي نقضت عهدها مع الله؛ كيف استبدلها الله بقوم آخرين، وكيف أنّه سلبها عزّها، وسلطانها وكيف تحوّلت، إلى أمّة ذليلة مستكينة. قال سبحانه وتعالى – حكاية لأحوال بني إسرائيل بعد نقضهم للميثاق -: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[78].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[79].

**ثمّ إنّ الأمّة المصابة بسنّة الاستبدال، لها مواصفات يحكيها القرآن الكريم؛ منها:**

أ- **قسوة القلب:** ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾[80].

ب- **تحريف الحقائق الإلهيّة:** ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[81].

ج- **الذلّ:** ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾[82].

د- **تكذيب الأنبياء والفرقاء الإلهيّين:** ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا

---

(76) سورة محمّد، الآية 38.
(77) سورة المائدة، الآية 54.
(78) سورة المائدة، الآية 13.
(79) سورة البقرة، الآية 61.
(80) سورة المائدة، الآية 13.
(81) سورة المائدة، الآية 13.
(82) سورة البقرة، الآية 61.



تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ﴾[83].

هـ- قتل الأنبياء والصالحين: ﴿ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[84]، ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[85].

و- أكل المال الحرام: ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾[86].

وغير ذلك من مواصفات الأمّة المصابة بقانون الاستبدال. ويبدو أنّ من أهمّ هذه المواصفات، وأشدّها وضوحًا في أحوال الأمم المصابة بالاستبدال، هي صفتان: صفة قتل الأنبياء والصالحين، وصفة الذلّ والمسكنة والهوان.

## مفهوما السلطة والحكم

يكشف القرآن الكريم حتميّة التلازم بين مفهومي الاستخلاف والاستبدال، واختصاصهما بالسلطة والحكم. وهنا، لا بدّ من التوقّف عند مفهومي السلطة والحكم؛ فماذا تعني السلطة؟ وماذا يعني الحكم؟ سواءً أكان هذا الحكم إسلاميًّا، أم ديمقراطيًّا، أو ديكتاتوريًّا، أو أيّ لون آخر من ألوان الحكم.

تتمثّل حقيقة "الحكم" بخضوع إرادة الناس لإرادة عُليا، فهناك إرادة عليا تخضع لها إرادة الآخرين. والإرادة العليا هذه هي التي تحدّد إرادة الآخرين، وتحدّ من حريّاتهم، وتوجّه إرادتهم. وهي أيضًا تأمرهم، وتنهاهم، وتلزم عليهم أمورًا، وتمنعهم من أمورٍ أخرى؛ وهذا هو معنى السلطة.

وتأسيسًا على التعريف السابق، فصاحب السلطة هو ذلك الذي يكون

(٨٣) سورة **البقرة**، الآية ٨٧.

(٨٤) سورة **البقرة**، الآية ٨٧.

(٨٥) سورة **آل عمران**، الآية ١١٢.

(٨٦) سورة **النساء**، الآية ١٦١.

له الحقّ في الأمر، والنهي، وتوجيه إرادة الآخرين.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى بني الإنسان كلّهم سواسية في أنّهم بشر؛ هم موجودات لهم إرادة واختيار، فكما ليس لأحد أن يأمرنا وينهانا، ليس لنا أن نأمر، أو ننهى أحدًا. فبنو الإنسان كلّهم سواء، ليس لأحد على آخر أيّة ميزة. إنّما الذي له مطلق الحقّ في الأمر والنهي هو الله سبحانه وتعالى، وليس غيره، إلّا من كان طريقًا إلى أمر الله ونهيه، وهو من نصّبه الله للحكم، ممّن توفّرت فيه شروط الطاعة المطلقة لله، والخضوع لأمر الله ونهيه، وهذا مفهوم عقديّ جوهريّ يتجلّى في **القرآن الكريم** بأفصح بيان، وأبلغ تعبير. يقول عزّ وجلّ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٨٧).

والحكم في **القرآن الكريم** يعني: السلطة، وحقّ الأمر والنهي، كما هو معناه في اللغة، من دون حاجة إلى التوجيه والتأويل. ومعنى السلطة هذا نجده في **القرآن الكريم**، وهو يحكي لنا دعاء إبراهيم، عليه السلام؛ إذ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٨٨)، واستجابة الحق جلّ وعلا له عليه السلام قائلًا: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(٨٩).

لقد بعث الله الرسل لإقامة حكم الله في الأرض، وليس لتبليغ حكم الله فقط، بل لإقامة الحكم الإلهيّ أيضًا، ولتبليغ الحكم وتنفيذه. وحيث إنّ السلطة المطلقة هي لله سبحانه وتعالى، وليست لغيره، فهو عزّ شأنه الذي يعيّن في الأرض من يمثّل سلطته، وينفّذها، كما إنّه ليس لأيّ إنسان أن يطيع إنسانًا في أمر أو نهي إلّا إذا كان هذا الأمر والنهي متّصلًا بالله سبحانه وتعالى عبر إنسان مأذون له من الله جلّ وعلا، لتكون الطاعة

---

(٨٧) سورة **القصص**، الآيات ٦٨- ٧٠.

(٨٨) سورة **الشعراء**، الآية ٨٣.

(٨٩) سورة **البقرة**، الآية ١٢٤.



لله سبحانه وتعالى، وهذا مفهوم أساسيّ وجوهريّ في القرآن، وهذه هي نظريّة الإسلام في الإمامة.

فالسلطة تحتاج إلى إذن من الحقّ عزّ إسمه، فليس لأحد على أحد أيّة سلطة إلّا إذا كانت هذه السلطة مشتقّة من سلطة الله سبحانه وتعالى، مخوّلة من قبله، وهذا ما يحكيه القرآن نصًّا؛ إذ يقول عزّ من قائل: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٩٠].

وهذا هو المعنى اللغويّ الدقيق للمُلك الذي تفسّره لنا الآية الأخرى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾[٩١]. فالمُلك أيضًا يعني السلطة، والله هو مالك الملك، وهو الذي يؤتيه من يشاء، وهو سبحانه وتعالى ينزعه ممّن يشاء.

والخليفة الإلهيّ هو ذلك الإنسان الصالح الذي يؤتَى المُلك من قبل الله سبحانه وتعالى، ولذا فآدم، عليه السلام، هو أوّل من خُلق على وجه هذه الأرض، استخلفه الله ليكون حاكمًا على خلقه، وهو قائد سياسيّ خلقه الله، ومنحه حقّ التصرّف في هذا الكون، تصرّف الحاكم والمَلِك، ليكون صاحب سلطة سياسيّة على هذه الأرض. ولذلك، فالذي يُفهم من القرآن الكريم أنّ الحكومة والسياسة ولدتا بولادة الإنسان على هذه الأرض.

يقول الحقّ سبحانه وتعالى مشيرًا إلى هذه النقطة الجوهريّة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٩٢].

## خلافة الأمّة

إنّ المسيرة التكامليّة للخلافة – كما تُفهم من القرآن الكريم – تبدأ

(٩٠) سورة **البقرة**، الآية ٢٤٧.

(٩١) سورة **آل عمران**، الآية ٢٦.

(٩٢) سورة **البقرة**، الآية ٣٠.

بالفرد الأصلح، لتنتهي بالمجتمع الصالح؛ أي المجتمع الذي استخلفه الله سبحانه وتعالى على الأرض، وهي الأمّة التي تطبّق حكم الله في الأرض، إنّها الأمّة الخليفة؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾(٩٣)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٩٤)، و﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(٩٥).

يتوجّه الخطاب القرآنيّ هنا إلى الأمّة الخليفة، إلى المجتمع الخليفة الذي تربّى على يد القائد المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى، إلى المسلمين الخاضعين لقيادة الرسول، صلّى الله عليه وآله وسلّم، المطبّقين لأمر الله جلّ وعلا، جعلهم الحقّ سبحانه وتعالى شهداء على الناس، وخلائف الأرض؛ أي خلفاء لله سبحانه وتعالى في الأرض، والمجتمع الخليفة، هو ذات المجتمع الصالح التابع لخليفة الله، الإمام الصالح.

## الخلافة والشهادة

يقول الحقّ جلّ وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٩٦). تُرى ما هي العلاقة بين مفهوم "الخَلافة" ومفهوم "الشهادة"؟

إنّ العلاقة بين الخلافة والشهادة علاقة تلازميّة؛ فالخلافة تلازم الشهادة على طول الخط، ولكنّ الخلافة تُنسبُ إلى الله جلّ وعلا، بمعنى الخلافة عن الله، إلّا أنّ الشهادة تكون على الآخرين، أي على النّاس. فالخليفة الصالح هو الإمام، والإمام شاهد على أمّته، وخليفة عن ربّه،

(٩٣) سورة **الأنعام**، الآية ١٦٥.

(٩٤) سورة **البقرة**، الآية ١٤٣.

(٩٥) سورة **الحج**، الآية ٧٨.

(٩٦) سورة **البقرة**، الآية ١٤٣.



والأمّة التي يربّيها هذا الإمام الصالح، أي الأمّة التابعة للإمام، هي الأمّة خليفة عنه سبحانه وتعالى، وشاهدة على سائر الأمم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٩٧]، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٩٨].

لقد بيّن الله سبحانه وتعالى في قرآنه العظيم أنّه نفّذ سنّة الاستخلاف على وجه الأرض على أمم عديدة، منها: بنو إسرائيل الذين رشّحهم الحقّ سبحانه وتعالى لخلافته في الأرض. وبتعبير آخر: رشّح الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل ليكونوا الأمّة الصالحة التي تطبّق حكم الله - أمرًا ونهيًا - باتّباع القائد الإلهيّ الذي نصّبه لهم؛ وهو موسى، على نبيّنا وآله وعليهم السلام.

لقد كان موسى القائد الإلهيّ الأصلح الذي نصّب من قبل الله سبحانه وتعالى، فيما كانت أمّة موسى، عليه السلام - بنو إسرائيل - هي الأمّة التي رشّحت لتطيع القائد، وتطبّق حكم الله في الأرض. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٩٩].

وهذا التفضيل الذي يشير إليه **القرآن الكريم**، إنّما هو تفضيل بالسلطة. **فالقرآن الكريم** في آية شريفة أخرى يحكي كلام موسى، عليه السلام، لقومه بني إسرائيل قائلًا لهم: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[١٠٠]؛ أي

(٩٧) سورة **البقرة**، الآية ١٤٣.
(٩٨) سورة **الحج**، الآية ٧٨.
(٩٩) سورة **البقرة**، الآية ٤٧.
(١٠٠) سورة **المائدة**، الآية ٢٠.

جَعَلهم ملوكًا إلهيّين، مُنحوا السلطة الإلهيّة، فأصبحت القيادة والإمامة الإلهيّة في بني إسرائيل استجابةً لدعاء إبراهيم، عليه السلام.

قال سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(١٠١). فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء إبراهيم، إذ قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(١٠٢).

فالخلافة والإمامة الإلهيّة أُعطيت لبني إبراهيم ومنهم بنو إسرائيل؛ أي بنو يعقوب، ولكن شريطة ألّا يكونوا ظالمين. والخلافة خلافتان: خلافة الأمّة، وخلافة الإمام، وهذه هي سنّة الاستخلاف التي أشير إليها بإيجاز.

لقد شاءت إرادة الحقّ جلّ وعلا أن تنصّب خليفة في الأرض؛ أي إمامًا قائدًا يحكم، وأن يربّي هذا الإمام القائد الحاكم أمّة قائدة لغيرها من الأمم، حيث تطبّق أمر الله سبحانه وتعالى، ونهيه، وهذه هي الأمّة الخليفة. ثمّ إنّه جلّ وعلا رشّح – وعلى مدى التاريخ – أممًا لهذه المسؤوليّة الكبرى، منهم أمّة بني إسرائيل، فمكّنهم من تطبيق الحكم الإلهيّ، تحت لواء القيادة الإلهيّة الكفوءة، المتمثّلة في موسى، عليه السلام، وأخذ من بني إسرائيل العهد والميثاق على أن يطيعوه، وينصروه، ولا يخذلوه، وهذا هو ميثاق النصرة الذي يبرمه المؤمنون مع الله سبحانه وتعالى بإيمانهم؛ حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(١٠٣) إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ﴾(١٠٤)، ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾(١٠٥).

ميثاق النصرة هذا، ميثاق الله سبحانه وتعالى مع المؤمنين؛ أي أنّ هناك تعاملًا، وعهدًا بين الحقّ سبحانه وتعالى وبين من يؤمن به، يستلزم

---

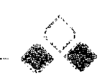
(١٠١) سورة **الشعراء**، الآية ٨٣.

(١٠٢) سورة **البقرة**، الآية ١٢٤.

(١٠٣) سورة **التوبة**، الآية ١١١.

(١٠٤) سورة **التوبة**، الآية ١١١.

(١٠٥) سورة **الأنفال**، الآية ٧٤.



أن يبذل المؤمن ماله، ونفسَه في سبيل الله؛ أي لنصرة دين الله بماله، ونفسه، وبكلّ ما أوتي، وبما يملك. هذا هو ميثاق نصرة الجماعة المؤمنة؛ أي الأمّة الخليفة، الأمّة التي أوكل لها تطبيق حكم الله سبحانه وتعالى في الأرض.

يقول أمير المؤمنين، سلام الله عليه:

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلاَّ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِم، وَلا سَغَبِ مَظْلُوم، لأَلقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلأَلفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْز[١٠٦].

يشير عليه السلام هنا إلى ميثاق النصرة من قبل الناس الذين أعلنوا نصرتهم: "وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ"، فكان من الواجب عليه، الاستجابة لهم، وتلبية طلبهم لتقبّل القيام بأعباء هذه المسؤوليّة الخطيرة؛ وهي الإمامة.

ثمّ يصوّر لنا **القرآن الكريم** أروع تصوير عن تخاذل بني إسرائيل، وتململهم في نصرة الحقّ، وإعراضهم عن الانقياد للقائد السياسيّ المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى، وهو موسى، عليه السلام، وكيف نقضوا ميثاق النصرة مع الله سبحانه وتعالى – حاكيًا قول موسى عليه السلام لهم -: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ

---

(١٠٦) **نهج البلاغة**، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحة ٣٧.

﴿بيْننَا وَبيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[١٠٧].

مسلسل التداعي هذا، والتخاذل من قبل بني إسرائيل، وعصيانهم للقائد الإلهيّ موسى، عليه السلام، يطلق **القرآن الكريم** مصطلح "نقض الميثاق"؛ إذ يقول الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٠٨].

**والقرآن الكريم** في سننه التاريخيّة، يبيّن لنا أنّ الأمّة الخليفة، والأمّة القائدة، متى ما نقضت ميثاق النصرة مع الله سبحانه وتعالى، نُصرة القائد الأصلح المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى، فإنّه ينفّذ في حقّها قانون آخر، وهو سنّة الاستبدال. هذه السنّة التاريخيّة المهمّة التي تحكيها آيات عديدة شريفة من القرآن العظيم؛ منها قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[١٠٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[١١٠].

لقد نقض بنو إسرائيل ميثاق النصرة مع الله سبحانه وتعالى، فحاقت بهم سنّة الاستبدال، وكان الذلّ والهوان من نصيبهم. فالذلّ من نتائج سنّة الاستبدال. يقول الله جلّ وعلا حاكيًا عن بني إسرائيل: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[١١١]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[١١٢].

والعزّ والذلّ مفهومان أساسيّان يمكن اعتبارهما من المفاهيم الأساسيّة

---

(١٠٧) سورة **المائدة**، الآيات ٢١- ٢٥.

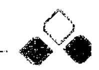
(١٠٨) سورة **المائدة**، الآية ١٣.

(١٠٩) سورة **محمّد**، الآية ٣٨.

(١١٠) سورة **المائدة**، الآية ٥٤.

(١١١) سورة **البقرة**، الآية ٦١.

(١١٢) سورة آل **عمران**، الآية ١١٢.



التي يبنى عليها تفسير حركة التاريخ، والتطوّر الاجتماعيّ في تاريخ الإنسان، فبمقدار ما يكون العزّ من أمارات سلامة الشخصيّة الاجتماعيّة، واستقامتها، يكون الذلّ دليلًا على فسادها، وانحراف صحّتها، وخوائها. وقد اهتمّ **القرآن الكريم** بهذين المفهومين كثيرًا، فأكّد على أنّ من مواصفات المؤمن هو العزّ، ولا يمكن للمؤمن أن يكون ذليلًا قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[113].

فالشخصيَة المؤمنَة يستحيل أَن تصاب بالمرض الذي يفرّغها من محتواها، ويبدّلها إلى خواء فارغ، ولا تصاب الشخصيّة الإنسانيّة – فردًا أو مجتمعًا – بالذّلّ إلّا إذا أُفرغت من إيمانها، ومُلئ جوفها نفاقًا. وهذا ما تؤكّده الآيات الكريمة في **القرآن العظيم**، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[114].

وهكذا، أكّد **القرآن الكريم** على أنّ المنافقين فقدوا العزّ، وأصيبوا بالذّلّ، فراحوا يبحثون عن سند للعزّ يعتمدونه، فلجأوا إلى ولاية الكافرين، وخضعوا لهم، فلم يزدهم ذلك إلّا ذلًّا على ذلّهم.

أمّا المؤمنون فإنّهم أعزّة لا يذلّون: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[115]. هم أعلون لا يُغلبون. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[116]. يَغلبون ولا يُغلبون. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[117]، لا يهنون، ولا يستكينون، ولا يجبنون، ولا يضعفون، ويصمدون في مواقع النزال مع الكفّار، ولا ينهزمون. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ

---

(١١٣) سورة **المنافقون**، الآية ٨.

(١١٤) سورة **النساء**، الآيتان ١٣٨ و ١٣٩.

(١١٥) سورة **المائدة**، الآية ٥٤.

(١١٦) سورة **آل عمران**، الآية ١٣٩.

(١١٧) سورة **المائدة**، الآية ٥٦.

مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[118]، ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[119].

وهذا هو الذي كان يؤكّد عليه الإمام الحسين، عليه السلام، كثيرًا؛ حيث كان يقول: "مَوْتٌ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلّ"[120]، وصرّح به يوم عاشوراء صلوات الله عليه؛ إذ قال:

أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السِّلَّة وَالذِّلَّة وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ يَأْبَى اللَّه لَنَا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طَابَتْ وَطَهُرَتْ وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ مِنْ أَنْ نُؤْثِرَ طَاعَةَ اللِّئَام عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَام[121].

## الأمّة المستخلَفة

لقد بشّر الحقّ سبحانه وتعالى الأمّة "الخليفة"، ووعدها بالعزّ والسؤدد. فالأمّة المستخلَفة التي وفت بعهدها مع الله سبحانه وتعالى في النصرة والطاعة للإمام الإلهيّ، ستنال العزّ والغلبة، ولا ترى الذلّ والهوان أبدًا. وهذا ما حكاه لنا القرآن الكريم، وأكّدته الآيات الكثيرة؛ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[122]، ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[123].

ثمّ يؤكّد الحقّ سبحانه وتعالى حقيقة الترابط بين الإمامة الإلهيّة والملك الإلهيّ، وبين العزّ في الآية الشريفة: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ

(118) سورة آل عمران، الآية 146.

(119) سورة الأحزاب، الآية 22.

(120) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار (بيروت: مؤسّسة الوفاء، الطبعة 2 المصحّحة، 1403هـ، 1983م)، الجزء 44، الصفحة 192.

(121) بحار الأنوار، مصدر سابق، الجزء 45، الصفحة 10.

(122) سورة المنافقون، الآية 8.

(123) سورة المائدة، الآية 56.



مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴾[١٢٤].

فالمجتمع الصالح الذي استخلفه الله سبحانه وتعالى على الأرض – وهو المجتمع الممتثل لأمر الله سبحانه وتعالى ونهيه – موعود بالمُلك الإلهيّ المقرون بالعزّ.

أمّا الذلّ فهو قرين الاستبدال، وهو مصير الأمّة الناقضة لميثاق النصرة مع الله سبحانه وتعالى ينزع عنها لباس الملك والسيادة والعزّ، ويحيق بها الهوان والذلّ، وهاتان السُنّتان الإلهيّتان، مستمرّتان على مدى الزمن.

فقد استبدل الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل بأمّة أخرى؛ وهي الأمّة الإسلاميّة، وحاق ببني إسرائيل الاستبدال حين نقضوا عهدهم مع الله سبحانه وتعالى. يقول عزّ من قائل: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[١٢٥]، وكانت الأمّة الإسلاميّة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١٢٦]، فأضحت الأمّة المستخلفة بجهادها، ووفائها الأوّل لميثاق النصرة مع الله سبحانه وتعالى ورسوله، وإطاعتها للقائد الإلهيّ الذي هو خليفة الله سبحانه؛ وهو الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

## الحسين، عليه السلام، الإمامة المستخلفة

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على المسلمين وعلى المجتمع الإسلاميّ بالقيادة الإلهيّة؛ وهي قيادة الرسول الأعظم محمّد، صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكان من أمر الأمّة الإسلاميّة في عهد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، أن وفت في بدء أمرها بالميثاق مع الله ورسوله، وقد وفى الله لها بوعده فجعلها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١٢٧]، فانتصرت على المشركين، وكُبت أعداء

(١٢٤) سورة **آل عمران**، الآية ٢٦.

(١٢٥) سورة **البقرة**، الآية ٦١.

(١٢٦) سورة **آل عمران**، الآية ١١٠.

(١٢٧) سورة **آل عمران**، الآية ١١٠.

الإسلام من اليهود والمشركين الذين كانوا يكيدون للإسلام في أطراف المدينة، وأرجاء الجزيرة العربيّة، وأرسل رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، رسائل إلى ملوك دول المنطقة، وحكّامها، وبدأت القبائل العربيّة ترسل وفودها إليه صلّى الله عليه وآله وسلّم معلنةً إسلامها، وأقيمت دولة الإسلام عزيزة غالبة.

غير أنّ هذه الأمّة افتُتنت بعد رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما وعد الله سبحانه وتعالى بذلك؛ إذ قال: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[128]، و﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[129].

## وفاء الإمامة بالعهد

جاءت ثورة الحسين، عليه السلام، لتعني – فيما تعني – أنّ الإمامة قد وفت بعهدها مع الحقّ سبحانه وتعالى، وأنّها نزلت إلى ساحة المواجهة بكلّ زخمها، وثقلها، وما آتاها الله من إمكانات، وبقي على الأمّة أن تفي بإلتزاماتها تجاه الله سبحانه وتعالى والإمامة الإلهيّة ممثّلة في الإمام الحسين، عليه السلام؛ إلّا أنّ الأمّة تقاعست عن أداء واجبها، وخذلت إمامها، ونقضت العهد والميثاق مع الله سبحانه وتعالى، فخذلت قائدها الإلهيّ؛ وهو الحسين، عليه السلام، بل واصطفّت إلى جانب أعداء الله سبحانه وتعالى، وأعانتهم على قتل الصالحين، وعلى رأسهم سيّدهم وسيّد المؤمنين الحسين بن عليّ، عليه السلام، فاستشهد مع أهل بيته، وثلّة من أصحابه المخلصين الذين ثبتوا على العهد، ولم ينقضوا ميثاق النصرة مع الله سبحانه وتعالى.

وبذلك، حلّت سنّة الاستبدال بأمّة الإسلام، واقترن بها الذلّ، والهوان،

(١٢٨) سورة العنكبوت، الآية ٢.

(١٢٩) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.



والشقاق، والنفاق، حتّى يومنا الذي نحن فيه. وما أصابنا نحن المسلمين[١٣٠] إنّما هو نتيجة قانون الاستبدال الذي يلازمه الذلّ على مدى الزمن، وإذا أردنا أن نعود إلى ذلك العزّ لا بدّ لنا أن نعود إلى الوفاء بالميثاق لله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١٣١].

### خلاصة

ليس لنا خيار آخر؛ فلا بدّ أن نعود إلى ميثاق نصرة الإمام، ميثاق نصرة الإسلام. علينا أن ننصر دين الله، فإذا نصرناه، أصبحنا حسينيّين، ثمّ إنّ الشعائر التي نقيمها في عزاء الحسين جيّدة، ولكنّها ليست كافية. لماذا هذه الشعيرة؟ لماذا نكرّر: "يا ليتنا كنّا معكم"، أليس في عصرنا اليوم حسين؟ إمام مفترض الطاعة، إنّه صاحب الأمر، عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فلنكن معه.

لنقف عند مسؤوليّة كلمتنا، لقد تكرّر فرعون في يزيد، وتكرّر في الحجّاج، وتكرّر في كلّ أدوار الإسلام اليوم، كما ورث محمّد موسى، وورث الحسين محمّد، وورث صاحب الأمر حسينًا، لقد رشّح الله أمّة موسى لتكون الأمّة الخليفة، ورشّح الله أمّة الإسلام لتكون الأمّة المستخلفة. فلو كان هذا الحماس الذي عندنا يصل إلى درجة النصرة، كان هو المطلوب؛ فالحسين، عليه السلام، كان يحتاج إلى ناصر، ولهذا نجد الحسين، عليه السلام، ينادي في صحراء كربلاء: "هل من ناصر ينصرنا؟".

وهو يعلم أنّه ليس هناك من مجيب، إنّها الإشارة إلى ميثاق النصرة لقد أعلن الحسين أنّه يحتاج إلى أنصار، وما زال يعلن: "هل من ناصر

(١٣٠) والحديث هنا عن الأمّة ككلّ، وليس الحديث عن الأقليّة؛ فإنّ هناك أقليّة وفيّة في كلّ زمن، كما كان في عصر الحسين، عليه السلام.

(١٣١) سورة **التوبة**، الآية ١١١.

ينصرنا؟ هل من ذابّ يذبّ عن حرم الله؟ هل من مغيث يغيثنا؟".

إنّ هذه هي مشكلة الأمّة، فمشكلة الأمّة أنّ الإمامة ليس لها ناصر يفي بميثاق النصرة مع الله سبحانه وتعالى. فإنّ الآيات القرآنيّة الكريمة التي تصف المؤمنين تصفهم بالنصرة لله ولرسوله؛ يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١٣٢).

نصروه بميثاق النصرة، وهو الميثاق الذي يجب علينا أن لا ننساه. إنّ بيننا وبين إمام زماننا، ووليّ أمرنا، سلام الله عليه، الذي هو حسين العصر ميثاق النصرة، فلو بلغنا إلى الدرجة التي نفي فيها بهذا الميثاق، فليس هناك ما يستوجب أن يبقى الإمام، سلام الله عليه، غائبًا، فلم يخلق الله سبحانه وتعالى الإمام ولم ينصّبه لكي يغيب عنّا، إنّما غيّبه نقضنا لميثاق النصرة، كما هي سنّة الله سبحانه وتعالى في القيادات الإلهيّة على مرّ التاريخ.

هذه هي النقطة الأساس فيما علينا بالنسبة إلى الثورة الحسينيّة؛ وهو أن نفي للحسين، عليه السلام، ولرسول الله، صلّى الله عليه وآله، قبل الحسين، ولأمير المؤمنين، عليه السلام، ولأئمّتنا، سلام الله عليهم، أن نفي لهم جميعًا بميثاق النصرة.

جعلنا الله سبحانه وتعالى من أنصار أئمّتنا، ومن أنصار الحسين، سلام الله عليه، ومن أنصار وليّ أمرنا، وصاحب عصرنا، عجّل الله تعالى فرجه الشريف؛ إنّه سميع مجيب، وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

(١٣٢) سورة **الأعراف**، الآية ١٥٧.